ܐܘܡܬܐ ܟܠܕܝܬܐ

اومثا كلديثا
العدد الاول حزيران 2002

المدارس والتعليم لدى الكلدان القدماء

بقلم: منال إبراهيم

منذ أن عرف الإنسان القديم الكتابة في بلاد سومر على أبسط أشكالها وصورها شرع يعلمها للآخرين من بني جنسه ورغم محدودية العملية أو اقتصارها على فئة قليلة أو معينة إلا أنها كانت قد اتخذت شكلا أقرب ما يكون إلى نظام المدارس والتعليم الجماعي وعرفت المدارس في عهد السومريين حيث كانوا يسمون المدرسة باللغة السومرية (آي- دبا) أي (بيت الألواح) وسمي القارئ أو الطالب (دومو- آي دبا) أي (ابن بيت الألواح) وفي البداية كان الهدف من إنشائها تعليم القراءة والكتابة واللغة ومفرداتها ورموزها ثم تطورت لتشمل العلوم المختلفة كالهندسة والحساب والطب والفلك ولا سيما في عهد الأكديين والأموريين ثم تطورت في عهد الكلدانيين وهذا يعني أنه تم تدريس السومرية في البداية ثم الأكدية وكانت هناك أبنية خاصة بالتعليم رغم عدم تمييزها في بعض الحالات عن الأبنية العامة أو عدم التمكن من الاستدلال عليها بعد تحويلها إلى أنقاض إلاّ من خلال مخلفات الألواح والنصوص التي تركها المعلمون والطلبة كما كانت هناك أجنحة خاصة بالتعليم في القصور الكبيرة والهياكل. كان التعليم كما أشرنا سابقا مقتصرا على طبقة معينة من الناس لأن عامة الشعب لم يكن بإمكانهم إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس لكون نفقة التعليم باهضة من ناحية ومن ناحية ثانية كانت مدة التعليم طويلة تستغرق سنوات عديدة إضافة إلى عدم توفر المدارس في جميع القرى والقصبات كل ذلك كان يجعل من العسير على جميع طبقات الشعب تعليم أبنائها لذا طغى على هذه المدارس طابع خاص. كان المدرسون والمعلمون يحتلون مراكز متقدمة في المجتمع وكانت لديهم منزلة رفيعة كما كانوا يقَلّدون وظائف حكومية مرموقة وكان بعض الكتاب أيضا يمارسون التعليم وكان معظم المعلمين من الذكور ورغم ورود أسماء بعض النساء كمعلمات وهذا يعني بأن المرأة أيضا كانت تمارس التعليم والأعمال الكتابية أسوة بالرجل ولكن بنسبة أقل كثيرا من نسبة الرجال. ومن بين المواضيع التي كانت تدرَّس استنادا إلى المعلومات التي وصلتنا من الكلدان القدماء ما يمكننا تشبيهها بالقواميس الحالية حيث كانت تضم شرح معاني المفردات باللغتين السومرية والأكدية والعلامات المسمارية وكذلك شرح قواعد اللغة البابلية الأكدية أو السومرية إضافة إلى جداول بأسماء الحيوانات والنباتات وأعضاء جسم الإنسان. كان للكلدانيين القدماء دور كبير في عملية التعليم إلى درجة برز من بينهم كتاب وعلماء كبار خلد التاريخ أسماءهم وأصبح لهم صيت عظيم سواء قبل تأسيس الدولة الكلدانية الأخيرة أو خلال فترة حكمها أو حتى بعد سقوطها ومنهم على سبيل المثال لا الحصر برحوشا (بيروسوس) الكاهن الكلداني الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد والذي درَّس في جزيرة كوس اليونانية حيث كان اليونانيون يستقون أصول العلم والمعرفة من الشعوب الأخرى مثل المصريين القدماء والكلدان فيقول المؤرخ سترابون (كان اليونانيون يجهلون احتساب مدة السنة الحقيقية وأمورا كثيرة مشابهة حتى انتشرت لديهم ترجمات لمذكرات كهنة مصريين نهل منها الفلكيون المعاصرون معلوماتهم ولا يزالون يستقون من هذه المعلومات حتى اليوم وكذلك من آثار الكلدانيين ورصدهم وعلومهم الفلكية). يبدو أن جميع الكتبة والمعلمين ما كانوا كهنة، ولا جميع الكهنة لدى الكلدان كانوا كتبة أو حكماء، وثمَّن ديودورس تعليم الكتبة الكلدان بهذه العبارة:

(غير أن هذه المعارف لم تكن تـُعلـَّم بالطريقة عينها إلا لدى الإغريق بينما كانت الفلسفة الكلدانية تقليدا عائليا يرثها الابن عن أبيه كوظيفة عامة وبما أن مدربيهم كانوا من أهاليهم فهم ينعمون سواء بتعليم المعارف كلها دونما تحفظ أو قيد وكذلك بزيادة الكثير على معلميهم وإنهم كانوا يعودونهم على الدرس منذ الصغر فتراهم يتقدمون بوضوح في التنجيم سواء بسبب سهولة تعلم ذلك في الصغر أو لكون مرحلة التعليم عندهم أطول وبينما يظل الكلدان على العلم الذي يتقبلونه تقليديا دونما تغيير ترى الإغريق يناقضون بعضهم بعضا حتى في التعاليم الأساسية المهمة). كان للتعليم فترة معينة قد تكون طويلة بعض الشيء لدى الكلدان حيث كان الطالب يبدأ تعليمه صغيرا وتشير النصوص المكتشفة بهذا الخصوص أن المتعلم كان ينهض من الفجر باكرا وبعد الغسل كان يتناول طعام فطوره الذي تعده له أمه على عجل ثم يأخذ معه خبز شعير كوجبة غذاء ويسرع إلى المدرسة وكان المتأخر عن الدوام يحاسب من قبل المعلم ويؤنب أو يعاقب في حالة ثبوت تأخره أو غيابه وأحيانا كان الطالب المتأخر بعض الشيء يدخل خلسة دون أن يشعر به المعلم ويجلس في موقعه خوفا من العقوبة التي كانت تصل إلى الضرب بالعصا.كان الطالب المهمل والمشاكس يعاقب وحتى الذي كان يقوم أو يتكلم في الصف دون إذن من المعلم وأحيانا كانت عقوبة الطالب تقتصر على التوبيخ أو ذكر أخطائه أو تصرفاته غير المقبولة أمام زملائه ولو حدثت مشاحنة بين المعلم والطالب ولأي سبب، كان على والد الطالب دعوة المعلم إلى وليمة عشاء دسمة ويقدم له الهدايا اللازمة لكسب رضا المدرس ويستقبله بتودد واحترام لعله ينسى أو يصفح عن أخطاء ابنه ثم يشكره على الجهود التي يبذلها لتعليم الطلبة وكانت المراسيم هذه تنتهي بتمني المعلم لهذا النوع من الطلبة بالعدول عن مواقفهم والتعقل ومن ثم التوفيق وبعد ذلك يرفع الجميع الدعاء إلى آلهة الكتابة والتعلم بهذه العبارة (المجد لـ نيسابا إلهة العلم ونابو ابن مردوخ إله الكتابة المتمتع بدور أبيه نفسه فهو الذي يكتب ألواح القدر التي يرسمها مردوخ للجميع في مطلع كل عام). كانت صفوف المدارس الكلدانية وفق النموذج المكتشف في حفريات بورسيبا وماري وبابل تتكون من مقاعد من الطابوق مرصوفة بكل نظام بشكل يستطيع الطالب الجلوس عليها وكان في متناول أيدي الطلبة أوان فخارية يعجنون فيها الطين بالماء المصبوب في أكواز طينية خاصة بهم وكانوا يستخدمون قصبة حادة ومدببة في الكتابة. وكان الطالب يقوم بكتابة الأمثلة التي يعطيها له المعلم على اللوحة التي يعدها وفي حالة عدم نجاح الطالب في كتابة المثال وحله بصورة صحيحة كان يقوم بعجن اللوحة ثانية لإعادة كتابة الدرس أو المثال عليها وأحيانا ولا سيما في المراحل الدراسية المتقدمة كانوا يستعلمون جلد الغزال للكتابة. كانت العبارات التي يطلب المعلم من الطالب كتابتها مختصرة ووجيزة ومركزة وذات مدلول مبسط ومفهوم ليسهل على الطالب فهمها وتعلمها وكانت الصفوف مقسمة تقسيما متمايزا فلكل صف كانت له مواده الثابتة. كان للمعلم وفق ما تذكر الألواح المكتشفة والكتابات التي حلت رموزها يتمتع بموقع رفيع في المجتمع الكلداني وكان له احترامه الكبير حيث تمدحه النصوص الكلدانية ناعتة إياه بالشمس المضيئة.

المصادر:

1. د. عامر سليمان – العراق في التاريخ الفصل السابع ص222-223
2. ماركريت روتن. علوم الكلدانيين. ص16 –17 . ترجمة المرحوم د. يوسف حبي تحت عنوان: علوم البابليين

حياة القديس مار سبريشوع

بقلم:- فؤاد هرمز

قد ازدهرت الحياة الرهبانية في مشرقنا منذ القرن الخامس للميلاد. فكثرت الأديرة في مختلف أنحاء هذه البلاد ولم تكن منابت الفضيلة والقداسة فحسب بل كذلك مراكز إشعاع ثقافي وأنساني واسع. ومن هذه الأديرة دير إيزلا الكبير الذي أسسه الراهب إبراهيم الكشكري بالقرب من مدينة نصيبين في منتصف القرن السادس الميلادي، وكان من بين الذين دخلوه وتخرجوا فيه، الراهب سبريشوع الذي ابصر النور في بلدة نينوى في مطلع النصف الثاني من القرن السادس ولا يعرف شيئاً عن والديه. عكفَ على الدراسة وتلقى العلوم منذ نعومة أظفاره وخاصة في مدارس حدياب(أربيل) المشهورة وانزوى في بقعة نائية في مقاطعة بيت نوهدرا المترامية الأطراف، وذلك للاختلاء والتأمل في حضرة الله والتفرغ لعبادته. إلا أن شذى فضائله وإيمانه عبق تلك الأصقاع فاجتذب العديد من العطاش إلى كلمة الله فأجتمع حوله بعض التلاميذ الذين شرعوا يعيشون تحت أنظاره وإرشاداته في تأسيس دير يتناسب مع عددهم واحتياجاتهم المادية والروحية في موضع يدعى الغاب الجميل (عاوا شبيرا) حيث دعي هذا الدير باسم الموضع نفسه على سفح جبل سمي مار سبريشوع على الحدود العراقية التركية في تركيا حيث وري جثمان هذا القديس الثرى في ذلك الدير. ولم يكتفِ الدير باجتذاب بعض التلاميذ بل حدا ببعض سكان المناطق المجاورة إلى السكن بجواره تيمناً بشفاعته وسعياً وراء السيرة المسيحية المتجسدة فيه وأولئك الرهبان. وهكذا شيئاً فشيئاً تكونت القرية المجاورة للدير والتي أطلق عليها اسم (أومرا) وكان للقديس أخت تسكن في المكان نفسه ولها مزار يطلق عليه مزار (باريسيا). ومن عجائب القديس الباهرة إنقاذه لأمير المنطقة الذي أودع السجن وإعادته إلى أهله سالماً وكان الأمير قد تعهد ببناء هذا الدير على ضريح القديس بالكلس وحليب الأغنام وفاءً لعهده والذي لا يزال إلى يومنا هذا مزاراً لكل سكان المنطقة من المسلمين والمسيحيين وكل من سمع بأخباره الذائعة الصيت.

ܡܕܒܪܢܘܬܐ ܕ ܐܘܡܬܐ ܟܠܕܝܬܐ
ܪܝܫܐ ܕܟܬܒܐ : ܓܣܢ ܚܢܐ ܫܕܝܐ
ܗܕܡܐ ܕ ܡܕܒܪܢܘܬܐ ܕ ܚܕܒܐ : ܝܘܣܦ ܟܣܒ
ܗܕܡܐ ܕ ܡܕܒܪܢܘܬܐ ܕ ܟܢܕܐ : ܡܘܢܝܪ ܗܘܪܡܙ

جريدة الأمة الكلدانية
رئيس التحرير : غسان حنا شذايا
عضو هيئة التحرير- مدير مكتب ديترويت : جوزيف كساب
عضو هيئة التحرير- مدير مكتب كندا : منير هرمز

Chaldean Nation Newspaper
PO Box 641985
San Jose, CA 95164-1985

Tel : (248) 882-1982 - from USA
(905) 893-0356 - from Canada
Fax : (510) 477-9844
Email : umtha@chaldeansonline.net
Internet Website :
http://www.chaldeansonline.net/umtha

Editorial Board:
Ghassan Hanna Shathaya, Editor-in-Chief
Joseph Kassab, Board Member – Manager Detroit Bureau
Munir Hormiz, Board Member – Manager Canada Bureau